



## كارثة منع تدوين الحديث ، وأثرها في تقسيم المسلمين ( 1 - 4 )

بقلم: رائف محمد الويشي

15 فبراير 2013

ذكرنا في عدة دراسات قدمناها سابقا للقارئ الكريم أننا - كمسلمين - نعانى بقسوة من شح المعلومات ونقاوتها التي تقدم لنا .. في دراسة اليوم نقدم للقارئ بحثا عن منع تدوين الحديث النبوي في أعقاب وفاة النبي ( ص ) ، وهذه الحقيقة وإن كانت معروفة لأهل البحث والاختصاص ، إلا أن المسلم العادي والكثير من الدعاة ليسوا على دراية كاملة بها ..

مر تدوين الحديث النبوي في مدرسة الخلفاء بست مراحل ، وهي كما يلي :

- 1- إعراض قريش عن تدوين الحديث في عهد النبي ( ص ) ..
- 2- منع أبي بكر وعمر تدوين الحديث في عهديهما ..
- 3- فتح عثمان الباب لكل من هب ودب لتدوين الحديث ..
- 4- عمليات واسعة النطاق لتزوير الحديث في عهد الأمويين ..
- 5- محاولة فاشلة لتدوين الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز ..
- 6- بداية تدوين الحديث في عهد أبي جعفر المنصور ..

( ملاحظة : هناك مدرستان إسلاميتان ، هما مدرسة أهل البيت ( مدرسة الشيعة ) ، ومدرسة أهل السنة ، ومدرسة أهل السنة لها عدة أسماء تبعا للماد التي تتناولها : مدرسة الخلفاء ، مدرسة السلطة الحاكمة ، مدرسة قريش ) ..

### المرحلة الأولى :

كانت في حياة النبي ( ص ) ، وهناك روايتان تدلان على أنه لم يكن مرحبا بتدوين الحديث عند قريش حتى والنبي يعيش بينهم ، وهما ما يلي :

### الرواية الأولى :

روى أبو داود - توفي في عام 275 هـ - في سننه ( رقم الحديث 3646 ) ، وأحمد - توفي في عام 241 هـ - في مسنده ( ج 10 ص 15 ) ، وابن حجر العسقلاني - توفي في عام 852 هـ - في فتح الباري ( ج 1 ص 250 ) ، والعلامة الألباني - توفي في عام 1999 م - في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( رقم الحديث 1196 ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال ما يلي :

" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوماً بأصبعه إلى فيه ، فقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما يخرج منه إلا حق " ..

### الرواية الثانية :

أورد البخاري - توفي في عام 256 هـ - في صحيحه ( باب كتاب العلم رقم الحديث 111 ) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :  
" لما اشتد بالنبي وجعه قال : " انتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده " ، قال عمر : " إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا " ، فاختلوا وكثر اللغط ، قال النبي : " قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع " ، فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه " ..

أورد مسلم - توفي في عام 261 هـ - في صحيحه ( كتاب الوصية رقم الحديث 3089 ) ما يلي :

" قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بلّ دمعته الحصى ، فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس ، قال اشتد برسول الله وجعه ، فقال انتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي ، فتنزعوا وما ينبغي عند نبي تنزع ، وقالوا ما شأنه أهجر ، استقهموه ، قال دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، قال وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها " ..

( أربع ملاحظات : الملاحظة الأولى : ربما يلاحظ القارئ الأسلوب الذي يتخذه البخاري مع الروايات النبوية الهامة المفصلية التي توصلت حق الولاية لأهل البيت ، حيث يضعها تحت أبواب لا علاقة منطقية بها ، وذلك بغرض التضييع على العقول التي تريد أن تبحث عن الحقيقة ..

الملاحظة الثانية : لا خلاف على واقعة الحديث ، ولا خلاف على أن عمر هو القائل لعبارة التحدي للنبي ، وإن كان الحاضر بعد مقاله قد انقسموا بين مؤيد له بزعامته ومعارض له بزعامته العباس ..

الملاحظة الثالثة : ربما كان مطلب الرسول ( ص ) بإحضار دواة وكتف هو أهم ما طلبه في حياته ، ففيه أعظم ما يتمناه بنو البشر ، فهو يطلب شيئا بسيطا لتوثيقه ، ويتعهد في المقابل بالرفع الأبدي للضلال عن المسلمين وبالتالي عن بني البشر ، لكن كان هناك من قتل هذه البشرية في مهدها ، والثابت أن تلك البشرية كانت وعدا من الله إليه ، فهو لا ينطق عن الهوى ..

هنا يلاحظ التشابه بين الوعد الأول في الجنة وحادثة " لا تأكلوا من هذه الشجرة " في آيات البقرة 35 إلى 39 وبين هذا الوعد الإلهي في الأرض " لا تضلوا بعدي أبدا " ، لكن - وبعظيم الأسف - رفض الإنسان كلا الوعدين ، إنه كان ظلوما جهولا ، وقد سماها ابن عباس بـ " الرزية " أي المصيبة ، رغم أنها أكبر من ذلك بكثير إذا نظرنا إلى الناتج العالمي للوعد النبوي ببشرى البعد عن الضلال

الملاحظة الرابعة : يدعى شيخ السلفيين ابن تيمية أن النبي ( ص ) كان يطلب بدواة وكتف في رزية الخميني لكتابة الخلافة لأبي بكر .. ففي منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - تحقيق محمد رشاد سالم ( 3 / 532 ) يقول ابن تيمية التالي : " وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله يريد أن يكتبه فقد جاء مبينا ، كما في الصحيحين عن عائشة قالت : قال رسول الله : ادعى لي أبك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " ..

ونقول لابن تيمية : لو كان كلامك صحيحا لسارع عمر بإحضار الدواة والكتف لتوثيق وضع صدّيقه ، لكن رفضه وتطاوله على النبي يفضح تفسيرك ثم لماذا أخرجهما النبي قبل رزية الخميني مع جيش أسامة من المدينة وأبقى بها على علي وحده ؟! ) ..

### المرحلة الثانية :

كانت تلك المرحلة في عهد الخليفين أبي بكر وعمر ، أي أنها استمرت لمدة 13 عاما وفيها قام الخليفان بمنع تدوين الحديث وتداوله بين المسلمين ..

\* روى الذهبي - توفي في عام 748 هـ - في تذكرة الحافظ ( ج 1 ص 2 ) عن ابن أبي مليكة ما يلي :

" أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم ، فقال : " فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله ، وحرّموا حرامه " ..

يضيف الذهبي في نفس المصدر السابق ( ج 1 ص 5 ) عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت :

" جمع أبي الحديث عن رسول الله ، وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيرا ، فغمني ، فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ ، فلما أصبح قال : أي بنية ، هلّمّي الأحاديث التي عندك ، فجنّته بها ، فدعا بنار فحرقها ، فقلت : لم تحرقها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي ، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد اتّمننته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك " .. أي أنه هنا يخاف من كذب الرواة ..

( ثمان ملاحظات : الملاحظة الأولى : جملة أم المؤمنين عائشة الأولى : " جمع أبي الحديث عن رسول الله " تختلف عن جملة " جمع أبي حديث رسول الله " .. نلاحظ هنا أن الـ ، عن تؤكدان أن الجمع كان بعد وفاة رسول الله ( ص ) وليست في حياته ..

الملاحظة الثانية : تدل العبارات الصادرة من أبي بكر في الروايتين أن التحديث منع بينما كان التدوين قائما في المرحلة الأولى ، وبعد أن حرق أبو بكر الأحاديث المدونة عند أم المؤمنين عائشة دخل التدوين حيز المنع أيضا ..

الملاحظة الثالثة : كان أصحاب رسول الله ( ص ) المعروفين بالتدوين هم علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعبد الله بن جابر الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو بكر بن عمرو بن حزم ، ولم يكن أبو بكر بن أبي حفصة بينهم ، وهو ما يؤكد أن قيامه بجمع الحديث من ابنته كان لغرض ما في نفسه ، وقد اتضح أعندما أشعل فيه النار ..

الملاحظة الرابعة : يتضح من الفقرة أن تقلب أبي بكر لم يكن لألم أو لأرق أصابه ، بل لقلق من قيامه بحرق الحديث في اليوم التالي ..

الملاحظة الخامسة : تبين جملة " خشيت أن أموت " التي قالها أبو بكر لابنته أم المؤمنين عائشة أن الحدث قد جرى في آخر أيامه ..

**الملاحظة السادسة:** حجة أبي بكر هنا بالحرق هي أنه يشك بوجود أحاديث لم يقلها النبي ( ص ) بين الأحاديث الصحيحة ، لكن ما فعله لا يبرر الخلاص من كل الأحاديث ، خاصة وأنها كانت من زوجة النبي وهو ما يدل على أن أغلبها صحيح ، كما أن وسائل التثبت من المشكوك فيه من الحديث كانت هناك بسؤال المدونين للحديث المذكورين في الملاحظة الثانية ..

**الملاحظة السابعة:** هنا لا بد أن نسال أنفسنا : لماذا أحرق أبو بكر بن أبي قحافة تلك الأحاديث التي أخذها من زوجة النبي - ابنته - عائشة ..

**الملاحظة الثامنة:** تدل جملة أبي بكر في الرواية الأولى : " فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله " أنه كان قد اتخذ قرارا بالتخلص من الحديث النبوي ، لهذا نراه يحرق خمس مائة حديث أحضرتهم أم المؤمنين عائشة بلا تردد ( .. ) ..

**دامت فترة خلافة أبي بكر إلى سنتين وشهرين ، وتبعه عمر بن الخطاب الذي دامت خلافته إلى عشر سنوات وستة أشهر ، وسار عمر على خطى أبي بكر في منع تدوين الحديث النبوي ..**

**قال ابن سعد -** توفى في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى ( ج 1 ص 140 ) عن القاسم بن محمد ما يلي :  
" إنَّ عمر بن الخطاب بلغه أنَّه قد ظهرت في أيدي الناس كتبٌ ، فاستنكرها وكرهها وقال: أيُّها الناس! إنَّه قد بلغني أنَّه قد ظهرت في أيديكم كتب فأحبُّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يُبقيَنَّ أحدٌ عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي ، قال : فظنُّوا أنَّه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمرٍ لا يكون فيه اختلاف، فأثَّروه بكتبهم ، فأحرقها بالنار!! ثمَّ قال: مشناة كمشناة أهل الكتاب" ..

( **خمس ملاحظات :** **الملاحظة الأولى:** القاسم بن محمد بن أبي بكر ، هو ابن شقيق أم المؤمنين محمد ، تربي القاسم في بيت خالته بعد مقتل أبيه محمد حرقاً في مصر على يد عمرو بن العاص ، وكان القاسم فقيهاً ومن كبار علماء المدينة ، وصفه الإمام جعفر الصادق بأنه من ثقاة الإمام على السجاد ، مات في عام 108 هـ ..

**الملاحظة الثانية:** من الواضح أن الناس في هذه الفقرة قد تعرضوا لخديعة كبرى على يد عمر بن الخطاب ، فقد سلموه أهم ما جمعه من الحديث ظناً منهم أنه سينقيها فإذا به يحرقها ..

**الملاحظة الثالثة:** خطوة عمر أخطر بكثير مما فعله أبو بكر ، فالخليفة الأول أحرق الحديث المتواجد عند ابنته وترك ما في أيدي الناس ، أما الخليفة الثاني فجمع ما عند الناس وحرقه ..

**الملاحظة الرابعة:** لعمر سابقة تعد من الكبائر في رفضه تدوين الحديث النبوي ، ونقصه بذلك ما جرى في رزية الخميس قبل وفاة النبي ( ص ) بأربعة أيام عندما رفض كتابة وصية النبي وتناول عليه باتهامه بالخرف وقال كلمته المشهورة " حسبنا كتاب الله " والحديث مذكور في كل كتب الصحاح الستة ..

**الملاحظة الخامسة:** المشناة هي كتاب كتبه اليهود لشرح توراتهم المزيفة ، وكما هو واضح لم يوفق عمر في اختيار اللفظ لأن الحديث النبوي كان بلسانه ( ص ) ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ) ..

**ذكر الخطيب البغدادي -** توفى في عام 463 هـ - في تقييد العلم ( ص 49 ) قول البيهقي - توفى في عام 458 هـ - عن عروة بن الزبير أنه قال ما يلي :

" إنَّ عمر بن الخطَّاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ( ص ) فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثمَّ أصبح يوماً ، وقد عزم الله له ، فقال : إنِّي كنت أردت أن أكتب السنن ، وإنِّي ذكرت يوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكتبوا عليها ، فتركوا كتاب الله تعالى ، وإنِّي والله لا أليس كتاب الله بشيء أبداً " ..

**يروى ابن ماجة -** توفى في عام 273 هـ - في سننه ( 1 / 12 ) والحاكم - توفى في عام 405 هـ - في المستدرک على الصحيحين ( 1 / 102 ) أن عمر بن الخطاب بعث الصحابي قرظة بن كعب على رأس جماعة إلى الكوفة فقال قرظة ما يلي :  
" مشى معنا إلى موضع صرار ، فقال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال : قلنا لحق صحبة رسول الله ( ص ) ولحق الأنصار ، قال : لكتي مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به ، فأردت أن تحفظوه لعمري معكم ، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيب كهزيب المرجل ، فإذا رأوكم مدّوا لكم أعناقهم وقالوا أصحاب محمد ، فأقلُّوا الرواية عن رسول الله ثمَّ أنا شريككم ، فلما قدم قرظة ، قالوا : حدِّثنا ، قال: نهانا عمر " ..

**يروى الحاكم في المستدرک ( 1 / 110 ) ،** والذهبي - توفى في عام 748 هـ - في تذكرة الحفاظ ( ج 1 ص 7 ) أن عمر بن الخطاب قال يوماً لعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري ، وهم من أكبر الصحابة في صدر الإسلام ما يلي :  
" ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الأفاق ، ثمَّ حبسهم ثلاثاً " ، وهو ما يدل على أنه كان يعاقب كل من يتحدَّث بالسنة والحديث عقاباً شديداً ..

**ويقول الحاكم في المصدر السابق ( ج 1 ص 106 ) ما يلي :**  
" وقد صحت الرواية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : قيدوا العلم بالكتاب... عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: قيدوا العلم بالكتاب " ..

( ملاحظة : نستطيع أن نقارن بين أبي بكر وعمر هنا أيضا ، فالخليفة الأول لم يستعمل العنف لنهي المسلمين عن التحديث ، بينما الخليفة الثاني استعمل العنف لمنع التحديث ، حتى على كبار أصحاب رسول الله ) ..

**يروى المتقى الهندي –** توفي في 975 هـ - في كنز العمال ( حديث رقم 4865 ) عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال ما يلي :  
" ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله ، فجمعهم من الآفاق : عبد الله بن حذيفة ، وأبا الدرداء ، وأبا ذر وعقبة بن عامر ، فقال لهم : ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟! ، قالوا تنهانا؟ ، قال : لا ، أقيموا عندي ، والله لا تفارقوني ما عشت ، فنحن أعلم ، نأخذ منكم ونرد عليكم ، فما فارقه حتى مات " ..

**ويذكر ابن عبد البر –** توفي في عام 463 هـ - في جامع بيان العلم وفضله ( ج 1 ص 87 ) ، والمتقى الهندي في كنز العمال ( ج 10 ص 292 ) عن يحيى بن جعدة أنه قال:  
" أراد عمر أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شيء من ذلك فليمحه " ..

**ذكر ابن كثير –** توفي في عام 774 هـ - في تاريخه ( ج 8 ص 107 ) أن عمر قال لأصحاب النبي ( ص ) ما يلي :  
" أفلوا الرواية عن رسول الله ، إلا في ما يعمل به " ..

### **أحاديث نبوية تكاد تنطق بمن سيضرب بالنصوص عرض الحائط بعد وفاة النبي**

هناك الكثير من الأحاديث النبوية التي أخبر فيها النبي ( ص ) عما سيحدث من بعده ، لقد نجت بعض النصوص من التدمير ، وهي ربما كافيه لأصحاب البصيرة كي تخبر عن موضع العوار ، ونذكر من هذه الأحاديث التي تخصنا في هذه الفقرة ثلاثة :

### **الحديث الأول : حديث الأريكة ، علامة كبرى من علامات النبوة**

**روى الترمذي –** توفي في عام 279 هـ - في سننه ( ج 5 ص 37 ) ، وأبو داود – توفي في 275 هـ - في سننه ( ج 4 ص 200 ) ، وأحمد – توفي في عام 241 هـ - في مسنده ( ج 6 ص 8 ) ، والحاكم – توفي في عام 405 هـ - في المستدرک ( ج 1 ص 108 ) وقال صحيح على شرط الشيخين ، وابن ماجه – توفي في عام 273 هـ - في سننه ( ج 1 ص 6 ) ، والشافعي – توفي في 204 هـ - في مسنده ( ص 390 / 430 ) ، والمتقى الهندي – توفي في 975 هـ - في كنز العمال ( ج 1 ص 173 ) عن المقدم بن معد أن النبي ( ص ) قال ما يلي :  
" يوشك الرجل متكئا على أريكته يُحدِّثُ بحديث من حديثي ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجلّ ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه !! ألا وإنّ ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله " ..

( ملاحظتان : **الملاحظة الأولى:** لو نظرنا إلى الفعل " يوشك " في بداية الحديث سنرى دقته الشديدة ، فهو يدل على أن زمن منع التدوين سيكون قريبا من وفاة النبي ( ص ) ..

**الملاحظة الثانية:** لم يذكر التاريخ أي ناقد لحديث الأريكة الذي كان دقيقا في وصف من سيقترف هذا الإثم ، ومن الواضح أن الشيخين قد أدارا للحديث ظهريهما تجنباً لإدانتها فيما فعلاه من منع المسلمين من التحديث والتدوين ) ..

### **الحديث الثاني : حديث في أصحابي إثنا عشر منافقا**

**ذكر البخاري –** توفي في 256 هـ - في صحيحه ( ج 3 / ص 729 – رقم الحديث 4905 ) ، ومسلم – توفي في 261 هـ - في صحيحه ( ج 4 / ص 551 – حديث رقم 2779 ) عن حذيفة بن اليمان أن النبي قال :  
" في أصحابي اثنا عشر منافقا ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " ..

### الحديث الثالث : حديث الحوض

مثل حديث الحوض ضربة موجعة على وجه كل أموي - ومن والاه من السلفية الوهابية - يدعى عدالة الصحابة ، ولو كان الحديث في كتب الشيعة لكذبناه ، لكنه ينتشر بجلاء تام في كتب الصحاح الستة ، والحديث يبين بوضوح لا لبس فيه أن أغلب أصحاب النبي ( ص ) سيرتدون من بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض :

### من هم رواة حديث الحوض ؟

وصلت درجة الجودة لحديث الحوض إلى مستوى التواتر لوجود أكثر من ستين من كبار أصحاب النبي ( ص ) ضمن الرواة ( راجع فتح الباري للعسقلاني ) والحديث بذلك يقع في أعلى درجات الجودة .. ذكر علماء الحديث أن رواة حديث الحوض كانوا أكثر من ستين من الصحابة ، ومن هؤلاء الرواة ما يلي : أبي بن كعب - أنس بن مالك - الحسن بن علي - حمزة بن عبد المطلب - البراء بن عازب - يزيد بن حبيب - ثوبان مولى رسول الله - جابر بن سمرة - جابر بن عبد الله - جرير بن عبد الله البجلي - حارثة ابن وهب - حذيفة بن أسيد - حذيفة بن اليمان - زيد بن أرقم - عبد الله ابن عباس - عبد الله بن عمر - عبد الله بن عمرو بن العاص - عبد الله بن مسعود - عتبة بن عبد الله السلمي - عثمان بن مظعون - سهل بن سعد - عقبة بن عامر الجهني - النواس بن سمعان - أبو أمامة الباهلي - أبو برزة الأسلمي - أبو بكره - أبو ذر الغفاري - أبو سعيد الخدري - خولة بنت قيس - أبو هريرة الدوسي - أسماء بنت أبي بكر - أم المؤمنين عائشة - أم المؤمنين أم سلمة - امرأة حمزة عم الرسول ...

سنذكر حديث الحوض عند أقوى الصحاح الستة عند السنة وهو صحيح البخاري ، والرواية بهذا الشكل لا يجب أن تمثل جدلا عند أحد ، بل إن المفروض أن تصبح طريقا للبصيرة ..

أخرج البخاري - توفي في 256 هـ - في صحيحه ( ج 8 ص 121 ط بولاق مصر ) عن أبي هريرة أن النبي ( ص ) قال ما يلي :

" بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال: هلم ، فقلت : أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت: ما شأنهم ؟ قال: أنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، وإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم ، فقال : هلم ، قلت : أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم .."

( ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : يتشابه حديث الحوض إلى حد بعيد مع ما طرحناه من أحاديث متواترة أخرى في هذه الدراسة ، كحديث الغدير وحديث الثقلين ، وحديث الطير ، وحديث الكساء ....  
الملاحظة الثانية : معنى " همل النعم " المذكورة في الحديث الأخير : هي ضوال الأنعام ، فكم تكون قليلة تلك الضوال في القطيع كثير العدد ، وهو تصوير بالغ الدقة من أفضل من نطق بلغة الضاد ( ص ) يعبر عن قلة من ينجو من هؤلاء الصحابة ..  
الملاحظة الثالثة : صيغة حديث الحوض التي ذكرها البخاري - ومعه بقية علماء الحديث السنة - محذوف منها اسم الرجل المتحدث مع النبي ( ص ) ، لكن الحديث موجود في كتب الشيعة والمتحدث هو علي ، لكننا نعتمد هنا على ما هو مذكور فقط في كتب أهل السنة ..  
الملاحظة الرابعة : روى أحمد في مسنده ( ج 9 ص 514 ) حديثا نبويا عن ابن عمر يؤكد أن أهل الكباير ومن تبع الأمراء الظالمين سيكون مصيرهم أيضا الطرد من الحوض : " سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْزَاءُ يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْخَوْضُ " .. ) ..

### المرحلة الثالثة :

كانت تلك المرحلة في عهد الخليفة عثمان ، ذكرنا في نهاية المرحلة الثانية أن الخليفة الثالث أخذ الخمس المخصص لذي القربى بنص قرآني وأعطاه مرة لشقيقه في الرضاة ومرة لابن عمه مروان ، وإذا كان الأمر كذلك مع النصوص القرآنية في عهده فلنا أن نتصور نصيب النصوص النبوية ..

أي أنها استمرت لمدة 12 عاما ، وكانت من أسوأ المراحل الستة ، فقد اضطهد عثمان أقرب أصحاب النبي ( ص ) إلى قلبه ، فكسر عظام عبد الله بن مسعود ، وفتح بطن عمار بن ياسر وسبب له فتقا وسبه وعاب أمه وأباه بأخس السباب والألفاظ ، وهم الثلاثة الذين واعدهم النبي ( ص ) على الجنة ، ونفى أبا ذر في جوف الصحراء ومات هناك وحيدا كما أخبره النبي ( ص ) علامة كبرى للنبوثة ..

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية زادت صداقة الخليفة الثالث عثمان مع الحاخام اليهودي المتأسلم كعب الأحبار ، وقد فتح عثمان في عهد الباب على مصراعيه لتتسرب منه الأحاديث الإسرائيلية وتختلط بالحديث النبوي ، وقد توعد وهجد كل من يعترض طريق الحاخام كعب ، وقد نال أبو ذر الأذى من جراء تلك التهديدات لاعتراضه على ما يقوله كعب ..

**يقول الذهبي** - توفي في عام 748 هـ - في تذكرة الحفاظ عن كعب الأحبار ما يلي :  
" قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وروى جماعة من التابعين عنه ، ومات بحمص في سنة 32 أو 33 أو 38 ، بعد ما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته وقصصه المستمدة من الأخبار كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانية " ..

**يذكر الدارمي** - توفي في عام 255 هـ - في سننه ( ج 1 ص 132 ) ، وابن سعد - توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى ( ج 2 ص 354 ) تلت الرواية التي جرت وقائعها في دمشق في عهد عثمان :  
" كان أبو ذر جالسا عن الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه ، فاتاه رجل فوقف عليه ، ثم قال : ألم تنه عن الفتوى ، فرفع رأسه إليه فم قال : أرقيب أنت علي؟! لو وضعت المصمامة - السيف البتار - على هذه - أشار إلى ففاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعت من رسول الله قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها " ..

( ملاحظة : البخاري ، أحد أعمدة مدرسة الخلفاء القرشية ، قام بقطع النصف الأول من الحديث في صحيح - ج 1 ص 25 - حتى لا يفهم القارئ أنه كان في زمن الخلفاء إيجاب على عدم الكلام بالحديث ، فقال ما يلي : " وإنما العلم بالتعلم ، وقال أبو ذر : لو وضعت المصمامة على هذه وأشار إلى ففاه ، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها " .. فانظر إلى أمانة البخاري! ) ..

**يروى ابن سعد** - توفي في عام 230 هـ - أيضا في الطبقات الكبرى ( ج 4 ص 168 ) عن الأحنف بن قيس ما يلي :  
" أتيت الشام فجمعت - أي حضرت الجمعة - فإذا رجل لا ينتهي إلى سارية إلا فرأ أهلها ، يصلي ويخف صلاته ، قال : فجلست إليه ، فقلت له : يا عبد الله ، من أنت ؟؟ قال : أنا أبو ذر ، فقال لي : فأنت ، من أنت ؟ قال : قلت الأحنف بن قيس ، قال : قم عنى لا أعديك بشر ، فقلت له : كيف تعديني بشر ، قال ك إن هذا - يعني معاوية - نادي مناديه : ألا يجالسنى أحد "

لقد ترك عثمان ابن عفان العنان لكعب الأحبار لدس كل القصص التوراتية وخلطها بالأحاديث النبوية ، كي تنسب لاحقا إلى النبي ( ص ) ..

**يروى الطبري** - توفي في عام 310 - في تاريخ الأمم والملوك ( ج 1 ص 44 ) أن كعب الأحبار كان يتحدث إلى الناس بالمدينة في أمر من الأمور ، فنقل الناس إلى عبد الله بن عباس ما قاله كعب ، فطارت من ابن عباس شقة ووقعت أخرى غضبا ، ثم قال : كذب كعب ! كذب كعب ! كذب كعب ! ... قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته ! ما أجرأه على الله !... وبعدما بين لمن حضر وجه الصواب فيما كذب فيه كعباً ، قام نفر حتى أتوا كعباً فأخبروه بما كان من ابن عباس ، فقام كعب معهم حتى أتوا ابن عباس ، فقال كعب : قد بلغني ما كان من وجديك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدثت عن كتاب دارس قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء وخير النبيين ، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت به كان مكان حديثي الأول " ..

**ويقول ابن سعد** في الطبقات الكبرى ( ج 7 ص 110 ) ما يلي :  
" عن رجل دخل المسجد ، فإذا عامر بن عبد الله بن عبد القيس جالس إلى كعب، وبينهما سفر من أسفار التوراة ، وكعب يقرأ " ..

**يقول الذهبي** - توفي في عام 748 هـ - في سير أعلام النبلاء ( ج 3 ص 489 ) ما يلي :  
" جالس كعب أصحاب رسول الله ﷺ ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية " ..

( ملاحظة : تعادل وظيفة القاص في تلك الأزمنة وظيفة وزارة الإعلام ، فقد كان القاص يجلس بالمسجد بعد انتهاء الصلاة ويقص على الناس قصصا وتتضح خطورة تلك الوظيفة فيما يقوم به القاص من غسل شديد لأدمغة الناس وترسيخ أفكار معينة دون غيرها في عقيدتهم دون أن يشعروا ) ..

أما عن الكارثة الكبرى التي نتجت عن صداقة كعب الأحبار اليمنى مع أبي هريرة اليمنى وغيره من أصحاب النبي ( ص ) فقد تحدث عنها التابعي الكبير بسر بن سعيد والذي كان من رجال الكتب الصحاح الستة ومن تلاميذ أبي هريرة في ذات الوقت ..

روى الإمام مسلم – توفى في عام 261 هـ - في التمييز ( ج 1 ص 175 ) عن التابعي بسر بن سعيد أنه قال ما يلي :  
" اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبي هريرة ، فيحدث عن رسول الله ( ص ) ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله " ..

لقد كان للصداقة الحميمة بين كعب الأحبار وأبي هريرة الأثر الكبير في تثبت الأحاديث النبوية ، فكلاهما من بلد واحدة ، وكلاهما تقربا من الأمويين ، وكلاهما أحبا المال حبا جما ..

يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى ( ج 4 ص 332 ) ما يلي :  
" جاء أبو هريرة إلى كعب يسأل عنه ، وكعب في القوم ، فقال كعب : ما تريد منه ؟ فقال : أما إنني لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني !! فقال كعب : أما إنك لم تجد طالب شيء ، إلا سيشبع منه يوما من الدهر إلا طالب علم ، أو طالب دنيا! فقال أبو هريرة : أنت كعب ؟ فقال : نعم ، فقال : لمثل هذا جئتك " ..

يقول العلامة اللبناني الأزهرى محمد رشيد رضا – توفى في 1935 م - بمجلة المنار ( 27 / 752 ) عن كعب الأحبار ما يلي:  
" إنه كان يركان الخرافات ، وأجزم بكذبه ، بل لا أثق بإيمانه " ..

ويضيف العلامة رضا عن كعب الأحبار ووهب ابن منبه في نفس المصدر السابق ( 27 / 697 ) ما يلي :  
" إن شر رواة هذه الإسرائيليات ، أو أشدهم تلبيا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوامهم والفن والساعة والأخرة ، إلا وهي منهما مضرب المثل ، ولا يهولن أحد انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثاه وغيرهما من هذه الأخبار ، فإن تصديق الكاذب لا يسلم منه أحد من البشر ولا المعصومين من الرسل رأينا الشيء الكثير في روايتهما مما نقطع بكذبه ، لمخالفة ما رواه ، فما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء فجزمنا بكذبهما ، إن أكثرها خرافات إسرائيلية شوهدت كتب التفسير وغيرها من الكتب ، وكانت شبةا على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة أنه كغيره دين خرافات وأوهام وما كان فيها غير خرافة ، فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبي في التوراة " ..

يقول العلامة المصري الأزهرى محمود أبو رية – توفى في عام 1970 م – في كتابة أضواء على السنة المحمدية ما يلي :  
" وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدهم مكرأ ، كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام . ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت بما أظهره من كاذب الورع والتقوى ، وأن المسلمين قد سكنوا إليهم واغترتوا بهم ، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم ، وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات ، وأوهام وترهات ، لكي تهى هذه الأصول وتضعف " ..

لقد تقرب كعب الأحبار من الخليفة عثمان ، وهو من تنبأ لعمر بموته في غضون ثلاثة أيام ، وجاء في اليوم التالي وقال له بقى يومان وجاء في اليوم الذي يليه وقال له ستموت غدا ، لهذا أشار المؤرخون باشتراكه مع الأميين في مقتل عمر بن الخطاب .. لا عجب إذن من تقربه من عثمان ، ابن عم معاوية ..

وبدلا من أن يشير الناس بأصبع الاتهام إلى كعب بالاشتراك في جريمة مقتل عمر ، تولت السلطة الأموية الحاكمة حمايته ، بل إنها رفعتة إلى مرتبة القديسين ..

وفى نهاية المرحلة الثالثة نود أن نشير إلى أن عثمان أمر جميع مواليه إلى عدم نشر الحديث إلى ما كان في عهدي أبي بكر

وعمر ، فإذا عرفنا أن العهدين قد تعرضا للمنع من التحديث والتدوين – وقد ذكرنا ذلك فنستطيع بسهولة أن نستنتج أن عهد عثمان لم يكن أكثر من امتداد لعهدي الخليفين ..

ذكر ابن حنبل – توفى في عام 241 هـ - في مسنده ( ج 1 ص 363 ) عن الخليفة الثالث ما يلي :  
" فصعد على المنبر وأعلن صراحة قوله: لا يحل لأحد أن يروي حديثا عن رسول الله ﷺ لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر "  
..

في الحلقة القادمة إن شاء الله سواصل الحديث عن كارثة منع تدوين الحديث النبوي ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

[elwisheer@yahoo.com](mailto:elwisheer@yahoo.com)

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

[www.thowarmisr.com](http://www.thowarmisr.com)